بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[١] ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢] ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣]

أما بعد فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.[٤]

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢

(٢) سورة النساء آية ١

(٣) سورة الأحزاب آيتان ٧٠ــ٧١

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: ١٤٣٥ / سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب: كيفية الخطبة، حديث رقم : ١٥٦٠/ سنن أبي داود: كتاب السنة ، باب : في لزوم السنة ، حديث رقم: ١٩٩١/ سنن ابن ماجة ، المقدمة ، باب : اجتناب البدع والجدل ، حديث رقم ٤٥

العُنُوسة اسم رهيب وقعه على السامع ، عظيم خطره على صاحبه ؛ لأن له ما بعده. فما من بيت من بيوت المسلمين إلا وهو مكتو بنارها فهم : إما لهم بنت عانس إن لم يَكُنَّ بنات عوانس، أو أخت عانس إن لم يَكُنَّ عدة أخوات عوانس، أو عمة إن لم يَكُنَّ عمات، أو خالة إن لم يَكُنَّ خالات، أو بنت عم إن لم يَكُنَّ مجموعات، أو بنات خال إن لم يَكُنَّ أرتالا، أو قريبة من أقاربهم إن لم يَكُنَّ قريبات، أو جارة من جيرانهم إن لم يَكُنَّ زمرا منهن وزرافات ووحدانا.

وتلمس ظاهرة العُنُوسة في المجتمع لا تحتاج لكبير جهد، ولا لكثير عناء، ولا لإعمال فكر، ولا لإجهاد عقل، فهي ظاهرة واضحة كالشمس في رائعة النهار، فالمدارس المتوسطة والثانوية والجامعات والمكاتب ودواوين الحكومة والبيوت ملأى بالأخلَاء [1] من البنات، ولها كظيظ من زحام الفتيات غير المتزوجات ولا تكاد توجد بنت واحدة في المرحلة الثانوية تدرس وهي متزوجة رغم أن أعمارهن تتفاوت ما بين السابعة عشر والتاسعة عشر سنة، واللاتي يتزوجن منهن مع قلتهن يتركن الدراسة. و المخطوبات في المرحلة المتوسطة والثانوية قليلات جدا، أما المرحلة الجامعية فعدد المتزوجات منهن لا يعدو العشرات مع أن أعمارهن تتراوح ما بين العشرين والرابعة والعشرين سنة، وأعدادهن تزيد على الملايين، فقل لي بربك عن امرأة مضى من عمرها أكثر من عشرين

---

[1] الخالي : العَزَبُ الذي لا زَوْجَة له ، وكذلك الأُنثى ، بغير هاء ، والجمع أَخْلاءٌ ؛ قال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَني أُصْبي عَلى المَرْءِ عِرْسَهُ وأَمْنَعُ عِرْسي أن يُزَنَّ بها الخالي ؟

[لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرَم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، طبع دار المعارف ، ب ت، مادة: خلا]

سنة [١] ولم تتزوج؛ بل ترى نفسها غرة صغيرة وأنها دون مرحلة الزواج وبينها وبين أن تكون أما وأن تنجب أطفالا مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل ومسافات لا تجتازها الخيل المضمرة، فعمرها عمر الزهور وهي لا تزال صبية ولا يزال ليلها طفلا يحبو، [٢] وأن أمامها وأمام الزواج ليل طويل فلتنم.[٣]

وفي الحقيقة أنها أضاعت سنوات إخصابها الذهبية وبدأت في العد التنازلي جنت كل هذا بفعل تعليمها الذي أنساها أنوثتها، وجعلها تعيش في غير واقعها، فأمها في البيت وخالاتها وجداتها ـــ اللاتي هن خيرا منها وذلك بشهادتها عند سؤالها ـــ كلهن قد تزوجن في عمر الرابعة عشرة سنة على أكثر الأحوال وأنجبنها هي وأنجبن غيرها من إخوانها وأخواتها.

ومن داء العُنُوسة ذبلت بنات هن في عمر الزهور وبعضهن لم تبلغ أعمارهن درجة العُنُوسة ولكنه الخوف منها وتوقعها أذبلهن، فهاجمهن شحوب الخريف في ربيع أعمارهن فتجعدت وجوههن وتخددت أجسامهن وشابت رؤوسهن قبل أوانها نتيجة

---

[١] عن أمية بنت أبي قيس الغفارية قالت أنبأتنا إحدى النسوة اللاتي زففن صفية بنت حيي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتها تقول: ما بلغت سبع عشرة سنة.[الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٠٨٧٥]

[٢] قَالَتْ عَائِشَةُ إِذَا بَلَغَتْ الْجَارِيَةُ تِسْعَ سِنِينَ فَهِيَ امْرَأَةٌ.[سنن الترمذي، كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج، حديث رقم: ١٠٢٧]

قال المباركفوري: كأن عائشة أرادت: أن الجارية إذا بلغت تسع سنين فهي في حكم المرأة البالغة، لأنه يحصل لها حينئذ ما يعرف به نفعها وضررها من الشعور والتمييز.[تحفة الأحوذي ، ج ٤ ص ٢٠٨]

[٣] وحين تستيقظ من نومها وتنتبه من غفوتها تجد أن قطار الزواج قد فاتها.

الحزن لما يرين من واقع مرير لأحوال النساء، وما مضى من أعمارهن والهم بما يعايشنه من حاضر والخوف من ما يستقبلنه من آت. فالواقع مؤلم والمستقبل قاتم مظلم لا يبشر بخير بل ينذر بشر مستطير.

ويكاد يطير قلبك إن ذكرت لك إحصائيات النساء العوانس في العالم الإسلامي، ومع هذا الطوفان الجارف للعنوسة نجد بعض حكومات المسلمين تمنع تعدد الزوجات، وبعضها تسمح به بعد موافقة خطية من الزوجة الأولى التي دون موافقتها خرط القتاد، ومن يجرؤ ويعدد من دون موافقة الزوجة الأولى فإن أطفاله من زوجته الجديدة يفقدون الحقوق التي تكفلها الدولة لمواطنيها من علاج وصحة وتعليم وخلافه.

والعانس تخرج زفرات وتتنهد تنهدات تنم عن حسرة دفينة، وهذه التنهدات صورها لنا الخالدي في قوله يصف الشمس وأفولها فجعلها عانسا جميلة تنظر في المرآة وتتحسر على ما ضاع من عمرها فقال :

كتنفس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج[1]

وقال معن بن أوس في نفس المعنى يصف نخلا أتى أكله وبدت ثماره مشبها له كعانس تعرض نفسها وتخشى الكساد ، ومعن سابق للخالدي :

كأنما هي عانس تصدى تخشى الكساد وتحب النقدا

فهي تردّى بعد برد بردا[2]

---

[1] انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م، ج ٢ ص١٠٤.

[2] الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين ، تحقيق د. السيد محمد يوسف ، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٢ ص ٢٤٧

كما أن العانس تحس بغصة في الحلق وشجى في النفس، فالخوف والتوجس المقرونان باليأس من المستقبل والحسرات والندم على الماضي لإضاعتها فرصا سابقة [١] كان بموجبها أن تخرج هذه الفتاة من دائرة العُنُوسة وتنجو بها من التفاف حبلها حول عنقها، والحسرات والندم هما السمة الغالبة على العوانس وتزداد هذه الحسرات والزفرات والتنهدات إذا نظرت إلى سليمى وسلمى وهند ونظائرهن من لداتها وأترابها وأنهن قد تزوجن مع قبحهن وسواد ألوانهن، وعنست هي مع جمالها فهي كانت ترى نفسها أجمل من القمر، فكانت تميس بهذا الجمال على لداتها وتربها وتفتخر به عليهن، وكانت تظهر هذا الجمال وتبديه وتحب أن تسمع رأي غيرها فيه، قال أحدهم يصف فتاة من هذا النوع:

إذا ما الكَهْدَلُ[٢] العارِ كُ ماسَتْ في جَوارِيها
حَسِبْتَ القَمَرَ الباهِـ ـرَ في الحُسْن، يُباهِيها[٣]

ومع هذا الجمال لم تحظ بزوج، وتزوجت فلانة مع قبحها ودمامتها، فهي لها وَجَهٌ دَمِيمٌ وخَلْق شَتِيم، وكَلِمَة عَوْرَاءُ، وفَعْلَةٌ شَنْعَاءُ، وهي امْرَأَة سَوْآءُ، لها أمْر شَنِيع، وخَطْبٌ فَظِيع. فاللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت.

عنست هي مع بياض لونها وطول شعرها وحسن ثغرها وسعة فرقها [٤] وتعدد محاسنها، وأن فلانة قد تزوجت مع فقرها وعنست هي مع غناها، وأن الأخرى قد

---

[١] هذا إن كان قد تقدم لها متقدم

[٢] الكَهْدَل: العاتقُ من الجَواري

[٣] لسان العرب، مادة: كهدل

[٤] الفرق : الجبين

تزوجت مع دقة نسبها وحقارة أصلها وضآلة سببها ولؤم عنصرها[١] وعنست هي مع كرم الأرومة وأصالة النسب وجزالة الحسب ومكانة الوالدين وعزّهما وشرفهما، وأنّ هنداً قد تزوجت مع جهلها وأميتها وعنست هي مع تعليمها ونيلها أسمى الدرجات وحيازها أعلى الشهادات، وأن زينب قد تزوجت مع خرقها وعدم معرفتها بالحياة وتدبير شئون المطبخ، وعنست هي مع أنها صناع ومع معرفتها بتدبير شئون البيت، وأن ليلى قد تزوجت مع نكدها وشؤمها المعروف والمشهور بين لداتها فهي مجمع الشؤم وملتقاه وتصب كل ما تعلم من الأمثال المتعلقة بالشؤم على هذه الفتاة المسكينة فتقول عنها هي : أشأم من البسوس [٢] وأشأم من عطر منشم [٣] وأشأم من خوتعة [٤] وأشأم من

---

[١] ذلك في نظرها ونظر مجتمعها .

[٢] قال ابن الأثير : أشأم من البَسُوس ، هي ناقة رماها كُلَيب بن وائل فقتلها، وبسببها كانت الحرب المشهورة بين بكر وتغلب، وصارت مَثلا في الشُّؤم.[النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، مادة : {بسس}]

[٣] قال الجوهري: مَنْشِمُ امرأةٌ كانت بمكة عطّارة، وكانت خُزاعةُ وجُرْهُم إذا أرادوا القتال تطيَّبوا من طيبها، وكانوا إذا فعلوا ذلك كَثُرَ القَتْلى فيما بينهم فكان يقال: أَشْأَمُ من عِطْرِ مَنْشِم.[لسان العرب مادة : نشم]

[٤] قيل : "أشْأَمُ من خَوْتَعَةَ": هو رَجُلٌ من بَني غُفَيْلَة ، دَلّ كُثَيْفَ بنَ عَمْرٍو التَّغْلبيَّ وأصحابَهُ على بَني الزَّبّانِ الذُّهْليِّ لِتِرَةٍ كانَتْ عندَ عَمْرِو بنِ الزَّبّان، فأتَوْهُمْ وقَدْ جَلَسُوا على الغَداء، فقال عَمْرٌو: لا تَشُبَّ الحَرْبَ بَيْنَنا وبَيْنَكَ، قال: كلاّ، بل أقْتُلُكَ وأقْتُلُ إخْوَتَكَ، قال: فَإنْ كُنْتَ فاعلاً فَأطْلِقْ هَؤُلاءِ الذينَ لَمْ يَتَلَبَّسوا بالحُروب، فإن وراءَهُمْ طالباً أطْلَبَ منِّي ــ يَعْني أباهُمْ ــ فَقَتَلَهُمْ، وجَعَلَ رُؤوسَهُمْ في مِخْلاة، وعَلَّقَها في عُنُق ناقَة لَهُمْ يُقالُ لها الدُّهَيْمُ ، فَجاءَت الناقَةُ ، والزَّبّانُ جالسٌ أمامَ بَيْتِه، فَبَرَكَتْ، فَقامَت الجارِيَةُ فجسَّت المِخلاةَ، فقالت: قد أصابَ بَنُوكَ بَيْضَ النَّعامِ، فَأدْخَلَتْ يَدَها فَأخْرَجَتْ رَأسَ عَمْرٍو ثُم رُؤُوسَ إخْوَتِه، فَغَسَلَها الزَّبّانُ، ووضَعَها على تُرْسٍ، وقال: "آخِرُ البَرِّ على

طويس [١] وأشأم من قاشر [٢] وأشأم من غراب [٣] وأشأم من داحس [٤]

القَلوصِ"، فَذَهَبَتْ مَثَلاً ، أي : هذا آخرُ عَهْدي بهم، لا أراهُمْ بَعْدَهُ، وشَبَّت الحَرْبُ بَيْنَهُ وبَيْنَ بَني غُفَيْلَةَ، حتى أبادَهُمْ . فضربوا بحَوْتَعةَ المثل في الشُّؤْم وبحَمْل الدُّهَيْم في الثِّقَل.[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب العين. فَصْلُ الخَاء/لسان العرب مادة: ختع]

[١] طُوَيْسٌ. اسم رجل ضُرِب به المثل في الشؤم، فقيل : أشْأَمُ من طُوَيْسٍ ؛ وهو مخنث كان بالمدينة وكانَ يقولُ : إن أُمِّي كانَتْ تَمْشي بالنَّمائمِ بينَ نساءِ الأنْصارِ، يا أهلَ المدينة تَوَقَّعُوا خروجَ الدجال ما دُمْتُ بين ظَهْرانَيْكُمْ فإذا مُتُّ فقد أمنتم لأني ولدت في الليلة التي تُوُفِّيَ فيها رسولُ اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، وفُطِمْتُ في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر، رضي اللّه عنه، وبَلَغْتُ الحُلُمَ في اليوم الذي قتل فيه عمر، رضي اللّه عنه، وتَزَوَّجْتُ في اليوم الذي قُتِلَ فيه عُثْمانُ، رضي اللّه عنه، ووُلِدَ لي في اليوم الذي قُتِلَ فيه عليٌّ، رضي اللّه عنه ، فَمَنْ مِثْلي؟ وكان اسمه طاؤُوساً، فلما تخنث جعله طُوَيْساً وتَسَمَّى بعبد النَّعيم؛ وقال في نفسه:

إنني عبد النعيم أنا طاؤُوس الجحيم

وأنا أشأم من يمـ ـشي على ظهر الحَطيم

[القاموس المحيط للفيروز آبادي باب السّين. فَصْلُ الطّاء / لسان العرب مادة طوس]

[٢] قيل: أشأَم من قاشر؛ هو اسم فحل كان لبني عُوَافةَ بن سعد بن زيد مَناةَ بن تميم، وكانت لقومه إبل تُذْكَرُ فاستطرقوه رجاء أن تُؤْنِثَ إبلُهم فماتت الأُمهات والنسل.[لسان العرب مادة: قشر]

[٣] قال ابن منظور : يقولون: أَشْأَمُ من غُراب، وأَفْسَقُ من غُراب. [لسان العرب مادة : غرب]

[٤] داحِسٌ: فَرَسٌ لقَيْسِ بنِ زُهَيْرٍ، ومنه: حَرْبُ دَاحِسٍ : تَرَاهَنَ قَيْسٌ وحُذَيْفَةُ بنُ بَدْرٍ على عشرين بَعيراً، وجَعَلاَ الغايَةَ مِئَةَ غَلْوَةٍ، والمِضْمَارَ أربَعينَ لَيْلَةً. فأجْرَى قَيْسٌ داحساً والغَبْراءَ، وحُذَيْفَةُ الخَطَّارَ والخَنْفَاءَ، فَوَضَعَتْ بَنُو فَزَارَةَ رَهْطُ حُذَيْفَةَ كَميناً في الطريقِ، فَرَدُّوا الغَبْراء، ولَطَموهَا، وكانَتْ سَابِقَةً. فَهَاجَتِ الحَرْبُ بينَ عَبْسٍ وذُبْيَانَ أربعينَ سنةً.[القاموس المحيط، باب السّين.فَصْلُ الدّال]

وأشأم من الشقراء [١] وأشأم من سراب.[٢]

وترى أنها عنست هي مع يمنها وبركتها وأمرها، [٣] وأن سلمى قد تزوجت مع أنها بخراء [٤] دفراء [٥] وعنست هي مع عبق أريجها وفواح عبيرها، وطيب ريح جسدها، وحسن مذاق رضابها، فسبحان مقسم الحظوظ والأرزاق الذي يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولا تملك إلا أن تقول كما قال يزيد بن مفرغ الحميري:

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامة

أعمى وأعشى ثم ذا بصر وزرقاء اليمامة[٦]

---

[١] الشَّقْراءُ : فَرَسُ شَيطانِ بنِ لاطِمٍ، قُتِلَتْ وقُتِلَ صاحِبُها، فَقيلَ: أشأَمُ من الشَّقْراءِ، أو جَمَحَتْ بصاحِبِها يوماً، فأتَتْ على وادٍ فأرادَتْ أن تَثِبَهُ، فَقَصَّرَتْ، فانْدَقَّتْ عُنُقُها، وسَلِمَ صاحِبُها، فَسُئِلَ عنها، فقال: إنَّ الشَّقْراءَ لم يَعْدُ شَرُّها رِجْلَيْها، أو كانتْ لابنِ غَزِيَّةَ بنِ جُشَمَ، فَرَمَحَتْ غُلاماً، فأصابَتْ فَلُوَّها، فَقَتَلَتْه. [القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الراء فَصْلُ الشِّين]

[٢] سَرابُ : اسْمُ ناقَةِ البَسوسِ، ومنه: "أشْأَمُ مِنْ سَرابٍ". [القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الباء فَصْلُ السِّين]

[٣] قال ابن منظور: رجل أَمِرٌ: مباركٌ يقبل عليه المالُ. وامرأة أَمِرَةٌ: مباركة على بعلها، وكلُّه من الكَثرة. ورجل أَمِرٌ وامرأة أَمِرَةٌ إذا كانا ميمونين. [لسان العرب، مادة: أمر]

[٤] البَخَرُ: الرائحة المتغيرة من الفم. وهو أَبْخَرُ وهي بَخْرَاءُ. وبَخِرَ أي نَتُنَ من بَخَرِ الفم الخبيث. [لسان العرب، مادة: بخر]

[٥] الدَّفَرُ: النَّتْنُ خاصة ولا يكون الطِّيبَ البتةَ. وأَدْفَرَ الرجلُ إذا فاح ريح صُنَانِه. وامرأة دَفْرَاءُ ودَفِرَةٌ. ويقال للأَمة إذا شُتِمَتْ: يا دَفَارِ، مثل قطام، أي يا مُنْتِنَةُ. [لسان العرب، مادة: دفر]

[٦] انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب، الناشرون مطبعة دار جامعة الخرطوم، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، ج ٤ القسم الأول ص ٦٠٨

بينما المتتبع لتاريخنا المتفحص له والقارئ لكتب التراجم والطبقات المتمعن في أحوال المترجمين لهم يجد سهولة الزواج ظاهرة ملموسة، وأن فلانا ـــ من المترجم لهم ـــ قد نظر لامرأة فأعجبته فذهب لوليها وخطبها منه فأجاب بالقبول وعقد له وبنى بها[١] من ليلته، [٢] فالأهل يسرعون في تجهيز الربض للزوج ليدخل بها،[٣] وأن فلانة قد تقدم لها عدة خطاب فانتقت منهم من شاءت، وصرفت الباقين، كما روى ابن عساكر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقالت: قد خطبها جرير بن عبد الله البجلي وهو سيد شباب المشرق ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم فقالت المرأة : أجادٌّ أمير المؤمنين قال : نعم قالت : قد زوجناك يا أمير المؤمنين.[٤] فهؤلاء أربعة رجال تقدموا لفتاة واحدة. نفق سوقها وراج خاطبوها.[٥]

---

[١] بَنى فلان بأهله كأَنّ الأَصلَ فيه أَن الداخل بأَهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله ليدخل بها فيها فيقال: بَنَى الرجلُ على أَهله، فقيل لكل داخل بأَهله بانٍ. [لسان العرب، مادة: بنى]

[٢] انظر خطبة أبي العباس السفاح لأم سلمة بنت يعقوب المخزومية وبنائه بها من ليلته في: الخلافات بين الزوجين للمؤلف ص

[٣] الرَّبَضُ والرُّبْضُ والرُّبُضُ: امرأَة الرجل لأَنها تُرَبِّضُه أَي تُثَبِّتُه فلا يبرح. ورَبَضُ الرجل ورُبْضُه: امرأَته. وفي حديث نَجَبَةَ: زوَّج ابنتَه من رجل وجَهَّزَها وقال لا يَبِيتُ عَزَباً وله عندنا رَبَضٌ؛ رَبَضُ الرجل: امرأَتُه التي تقوم بشأْنه. [النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة: {ربض} / لسان العرب، مادة: ربض]

[٤] التمهيد ج ١٩ ص ١٥٩ / البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٨م، ج ٨ ص ٢٤٢

[٥] أنشد سيبويه لقَيْسِ بنِ المُلَوَّح:

لَخُطَّابُ لَيْلى، يالَ بُرْئُنَ منكُمُ أَدَلُّ وأَمْضَى من سُلَيكِ المَقانِبِ

وكان الرجل في السابق يأتي الناس في مجلسهم فيقول: خطب أي جئتكم خاطبا فيقولون: نكح أي قد أنكحناك [١] أي زوجناك، وقد يبلغ من سهولة الزواج ويسره أن يخطب الرجل من الرجل موليته أو ابنته في أماكن لا تخطر بالبال كالطواف مثلا كما فعل عروة بن الزبير مع عبد الله بن عمر، قال عروة بن الزبير خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته ونحن في الطواف، فسكت ولم يجبني بكلمة، فقلت: لو رضي لأجابني، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبدا، فقدّر له أن صدر إلى المدينة قبلي، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فسلمت عليه، وأديت إليه من حقه ما هو أهله، فأتيته ورحب بي، وقال: متى قدمت؟ فقلت: هذا حين قدومي، فقال: كنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل بين أعيننا، وكنت قادرا أن تلقاني في غير ذلك الموطن! فقلت: كان أمرا قُدِرَ، قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحرص ما كنت عليه قط، فدعا ابنيه سالما وعبد الله فزوجني. [٢] كما أنه كان من يسر الزواج وسهولته بين السابقين أن البنت أحيانا تزوج قبل بلوغها ويدخل بها قبل اكتمالها البدني، وهو ما

بُرْثُن حَيٌّ من بني أسد، جَعَلَ اهتداءَهم لخطبة ليلى كاهْتداء سُلَيْك بن السُّلَكة في سَيْره في الفَلَوات. [لسان العرب، مادة: برثن]

[١] أَنْكَحَه المرأَة: زوَّجه إياها. وأَنْكَحَها: زوَّجها، والاسم النُّكْحُ والنِّكْحُ؛ وكان الرجل في الجاهلية يأْتي الحيَّ خاطباً فيقوم في ناديهم فيقول: خِطْبٌ أَي جئت خاطباً، فيقال له: نِكْحٌ أَي قد أَنكحناك إياها؛ ويقال: نُكْحٌ إِلاَّ أَن نِكْحاً هنا ليوازن خِطْباً، وقصر أَبو عبيد وابن الأَعرابي قولهم خِطْبٌ، فيقال نِكْحٌ على خبر أُمٌ خارجة؛ كان يأْتيها الرجل فيقول: خِطْبٌ، فتقول هي: نِكْحٌ، حتى قالوا: أَسرعُ من نكاح أُمٌ خارجة. قال الجوهري: النِّكْحُ والنُّكْحُ لغتان، وهي كلمة كانت العرب تتزوَّج بها. [لسان العرب، مادة: نكح]

[٢] حلية الأولياء ج ١ ص ٣٠٨

يسمى عند العرب الاهتجان.[١] وكان العرب يهتجنون أولادهم.[٢] وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ربيبه سلمة بن أبي سلمة من، أمامة بنت حمزة بنت عبد المطلب.[٣]

بل قد يبلغ من نفاق سوق المرأة وحرارتها وتهافت الخطاب عليها، أن يضرب به المثل كما ضرب المثل بنفاق بنات الحارث بن هشام، وبنات الحارث بن هشام يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وغلاء المهر وأبوهن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وكانت بنو مخزوم تسمى ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال وكانت الجارية تولد لأحد آل الحارث بن هشام فتتباشر النساء بها ويرين أهلها أنهم أغنياء لرغبة الخطاب فيها ولذلك قال ابن هرمة من قصيدة[٤]:

ومن لم يرد مدحي فإن قصائدي نوافق عند الأكرمين سوامي

نوافق عند المشتري الحمد بالندى نفاق بنات الحارث بن هشام[٥]

---

[١] اهتُجِنَت الجارية إذا افتُرِعَتْ قبل أوانها. واهْتُجِنت الجارية إذا وُطِئت وهي صغيرة. والمُهْتَجِنة الصبية؛ وفي المحكم: المرأة التي تتزوّج قبل أن تبلغ وكذلك الصغيرة من البهائم. [لسان العرب، مادة: هجن]

[٢] اهْتُجِنَت الجارِيَةُ: وُطِئَتْ صَغيرَةً. وغلْمَةٌ أُهَيْجِنَةٌ، أي: أهْلُهُمْ أَهْجَنُوهُم، أي: زَوَّجُوهُمْ صغاراً. [القاموس المحيط باب النون. فَصْلُ الهَاء]

[٣] عن عبد الله بن شداد قال كان الذي زوج أم سلمة من النبي صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ابنها فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم أمامة بنت حمزة وهما صبيان صغيران فلم يجتمعا حتى ماتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل جزيت سلمة. [الإصابة، ترجمة: ٣٣٨٥]

[٤] ثمار القلوب للثعالبي، ج ١ ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩، رقم : ٤٤٩

[٥] انظر: مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب جواز الشعر والاستماع له، حديث رقم: ١٢٨٥٦، المعجم الكبير، ج ٣ ص ٢٥٨ حديث رقم: ٣٣٤٠

كما كان يبلغ من نفاق المرأة أن تنتقي من خطابها والمتقدمين لها من تشاء وتختار منهم من تراه مناسبا لها ، وأن تجاذب من أرادت منهم، [١] كما فعلت قريبة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية التي خطبها أربعة عشر رجلا من أهل بدر فأبت وتزوجت عقيل بن أبي طالب وقالت كان مع الأحبة يوم بدر تعني أباها وأخاها حنظلة وجدها عتبة وأخاه شيبة ومن كان معه من المشركين يوم بدر.[٢]

وكما فعلت أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بنت عبد شمس العبشمية خالة معاوية التي تناثرت عليها الظباء من الخطاب، وذلك لما قدمت من الشام فقد خطبها عمر وعلي والزبير وطلحة فأبت إلا طلحة فتزوجها [٣] وعللت رفضها لمن رفضت منهم وقبولها لمن أرادت: فعن طلحة بن عبيد الله قال: خطب عمر بن الخطاب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فأبته، فقيل لها: ولم؟ قالت: إن دخل دخل ببأس وإن خرج خرج ببأس، قد داخله أمر أذهله عن أمر دنياه كأنه ينظر إلى ربه بعينه؛ ثم خطبها الزبير بن العوام فأبته، فقيل لها: ولم؟ قالت: ليس لزوجته منه إلا شارة في قراملها؛ [٤] ثم خطبها علي فأبت، فقيل لها: ولم؟ قالت: ليس لزوجته منه إلا قضاء حاجته ويقول: كنت وكنت وكان وكان؛ ثم خطبها طلحة فقالت: زوجي حقا، فقيل: وكيف ذلك؟ قالت: إني عارفة

---

[١] جاذَبَت المرأةُ الرجلَ: خَطَبَها فرَدَّته، كأنه بانَ منها مَغْلُوباً. التهذيب: وإذا خَطَبَ الرجلُ امرأةَ فرَدَّته قيل: جَذَبَته وجَبَذَته. قال: وكأنه من قولك جاذَبْتُه فَجَذَبْتُه أي غَلَبْتُه فبان منها مَغْلُوباً. [لسان العرب، مادة: جذب]

[٢] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٦٤٧

[٣] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٨٨٤

[٤] القَرامِل : هي ضَفائرُ من شَعَر أو صُوف أو إبرَيْسم، تَصِل به المرأة شَعرها. والقَرمَل بالفتح: نَباتٌ طويلُ الفُروع لَيِّن. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة : {قرمل}]

بخلائقه، إن دخل دخل ضحاكا وإن خرج خرج بساما، إن سألت أعطى، وإن سكت ابتدأ، وإن عملت شكر، وإن أذنبت غفر؛ فلما أن ابتنى بها قال علي: يا أبا محمد! إن أذنت لي أن أكلم أم أبان! قال كلمها، فأخذ سجف [١] الحجلة[٢] ثم قال: السلام عليك يا عزيزة نفسها! فقالت: وعليك السلام، قال: خطبك أمير المؤمنين وسيد المسلمين فأبيته، قالت: كان ذلك، قال: وخطبك الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد حواريه فأبيته، قالت: وقد كان ذلك، قال: وخطبتك أنا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: قد كان ذلك، قال أما والله! لقد تزوجت أحسننا وجها وأسمحنا كفا يعطي هكذا وهكذا.[٣]

كما أن بعض النساء كانت تعنت خطابها وتسألهم أسئلة لا يجيب عليها إلا صنف قليل من الناس وذلك لتهافت الخاطبين عليها وخير مثال لذلك ما فعلته صدوف التي خطبها حمران الجعدي وصدوف[٤] امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق، وكانت ذات مال كثير، وقد أتاها قوم يخطبونها فردتهم، وكانت تعنت خطابها في المسألة وتقول: لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله عنه ويجيبني بكلام على حده لا يعدوه، فلما انتهى إليها حمران، قام قائما لا يجلس. وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها، فقالت: ما يمنعك من الجلوس؟ قال: حتى يؤذن لي. قالت: وهل عليك أمير؟ قال: رب المنزل أحق بفنائه،

---

[١] السجف: الستر.

[٢] الحجلة بالتحريك: بَيْت كالقُبَّة يُستَر بالثِّياب وتكون له أزْرَارٌ كبَارٌ، وتُجْمَع على حِجَال. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {حجل}]

[٣] كنز العمال للمتقي الهندي، حديث رقم: ٣٦٥٩٢

[٤] امرأة صَدُوفٌ للتي تَعْرِضُ وجهها عليك ثم تَصْدِفُ. والصَّدُوفُ من النساء التي تَصْدِفُ عن زَوجها. [لسان العرب، مادة: صدف]

ورب الماء أحق بسقائه، وكل له ما في وعائه، فقالت: اجلس فجلس، قالت له: ما أردت؟ قال: حاجة ولم آتك لحاجة. قالت: تسرها أم تعلنها؟ قال: تسر وتعلن، قالت: فما حاجتك؟ قال: قضاؤها هين وأمرها بيّن وأنت بها أخبر وبنجحها أبصر. قالت: فأخبرني بها؟ قال: قد عرضت وإن شئت بينت. قالت: من أنت؟ قال: أنا بشر ولدت صغيرا، ونشأت كبيرا، ورأيت كثيرا، قالت: فما اسمك؟ قال: من شاء أحدث اسما وقال ظلما ولم يكن الاسم عليه حتما، قالت: فمن أبوك؟ قال: والدي الذي ولدني والده جدي فلم يعش بعدي. قالت: فما مالك ؟ قال: بعضه ورثته وأكثره اكتسبته. قالت: فمن أنت؟ قال: من بشر كثير عدده، معروف ولده قليل صعده يفنيه أبده. قالت: ما مورثك أبوك عن أوليه؟ قال: حسن الهمم، قالت : فأين تنزل؟ قال: على بساط واسع في بلد شاسع، قريبه بعيد، وبعيده قريب. قالت: فمن قومك؟ قال: الذي أنتمي إليهم، وأجني عليهم، وولدت لديهم. قالت: فهل لك من امرأة ؟ قال: لو كانت لي لم أطلب غيرها ولم أضيع خيرها. قالت: كأنك ليست لك حاجة! قال: لو لم تكن لي حاجة لم أنخ ببابك، ولم أتعرض لجوابك، وأتعلق بأسبابك. قالت: إنك لحمران بن الأقرع الجعدي. قال: إن ذلك ليقال: فأنكحته نفسها.[1]

يجد المرء هذه الظواهر وأمثالها في كتب التراجم تكاد تكون عادية، بل تتوقف كتب التراجم عند بعض الظواهر في حياة المترجم له، فعند ترجمة رجل يكون الحديث عن حياته من مولد وبلد ووفاة وزوجة أو زوجات وأولاد وعن مكانة من علم وتواليف وغير ذلك، وعند ترجمة النساء تذكر كتب التراجم زوجها أو أزواجها ــ إن كانت من

---

[1] انظر مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ج ١ ص ١٢٨

مردفات النساء ـــ كما أنها لا تغفل عن ذكر أولادها من زوجها الواحد أو أزواجها المتعددين، ولذلك لابد من ذكر اللاتي لم تتزوج من النساء المترجم لهن حتى موتها، وأهل التراجم يأتون بهذا الخبر لندرته وقلة حدوثه[١] ومن اللاتي ذكرن:

ـــ أم المكارم كريمة بنت أحمد المروزية المتوفاة بمكة سنة ٤٦٣هـ، روت الصحيح عن الكشميهني ، وروت عن زاهر السرخسي ، وكانت تضبط كتابتها، وتقابل نسخها، ولها فهم ونباهة، وما تزوجت قط، وقيل: إنها بلغت المائة، وسمع منها خلق.[٢]

ـــ ولادة بنت المستكفي ذكرها ابن بشكوال في الصلة فقال كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر وكانت تناضل الشعراء وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء وعمرت عمرا طويلا ولم تتزوج قط وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين وقيل أربع وثمانين وأربعمائة رحمها الله تعالى.[٣]

---

[١] اطلعت على رد للدكتور: بكر عبد الله أبو زيد حفظه الله أسماه : الذين لم يتزوجوا من العلماء وغيرهم وأسباب ذلك، والنقض على من وحّد السبب، نشرته، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٥هـ على الدكتور عبد الفتاح أبو غدة وكان أبو غدة قد صنف كتابا: أسماه العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج ، ذكر فيه عددا من العلماء الذين لم يتزوجوا بلغ عددهم ـــ ٥٠ عالما ـــ مع نزاع حدث بينه وبين د. بكر أبو زيد في التسليم بزواج عدد منهم وعدم التسليم بزواج آخرين والنساء من بين المذكورين بلغ عددهن امرأتين فقط.

[٢] سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢م ، ج ١٨ ص ٢٣٣

[٣] نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٧

ـ أم عبد الله فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصارية توفيت سنة ٧٠٨هـ، سمعت كريمة وابن رواحة ، روت الكثير ولم تتزوج.[١]

كما أسلفنا أن أهل التراجم يتوقفون عند عدم زواج المرأة لأن الغالب في المرأة أنها تتزوج بمجرد بلوغها مبلغ النساء وإن حدث أن طلقت أو مات عنها زوجها فإنها تتزوج بمجرد انقضاء العدة مباشرة وتتجمل لذلك وتتعرض للخطاب كما فعلت الصحابية الجليلة سبيعة الأسلمية، ذكر البخاري في صحيحه: أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ [٢] فَقَالَ لَهَا مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ تُرَجِّينَ النِّكَاحَ فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ [٣] قَالَتْ سُبَيْعَةُ فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ

---

[١] شذرات الذهب ج ٦ ص ١٧

[٢] ذَكَرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةَ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَنَفِسَتْ بَعْدَهُ بِلَيَالٍ وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُكْنَى أَبَا السَّنَابِلِ خَطَبَهَا وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا قَدْ حَلَّتْ فَأَرَادَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ فَقَالَ لَهَا أَبُو السَّنَابِلِ فَإِنَّكِ لَمْ تَحِلِّينَ فَذَكَرَتْ سُبَيْعَةُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ. (سنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب: في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والمطلقة، حديث رقم: ٢١٧٨)

[٣] قال ابن حجر: أبو السنابل بمهملة ونون ثم موحدة جمع سنبلة اختلف وجزم العسكري بأن اسمه كنيته وبعكك بموحدة ثم مهملة ثم كافين بوزن جعفر بن الحارث بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وكذا نسبه بن إسحاق وقيل هو بن بعكك بن الحجاج بن الحارث بن السباق نقل ذلك عن ابن الكلبي ابن عبد البر قال: وكان من المؤلفة وسكن الكوفة وكان شاعرا ونقل الترمذي عن البخاري

أَمْسَيْتُ وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي.[1]

بل نجد بعض الإخباريين من المصنفين يذكرون النساء اللاتي تزوجن أكثر من مرة وذلك مثل:

ـ أبو الحسن علي بن محمد المدائني، الذي صنف كتابه المردفات من قريش مما يعني وجود هذه الظاهرة في قبائل أخرى غير قريش وإنما اختار قريشا وأفردها بهذا التتبع لمكانتها بين العرب.

وذكر الميداني ٢٢ امرأة مردفة[1] وكرر منهن اثنتين فيكون العدد بعد حذف التكرار ٢٠ امرأة ويمكن وضعهن على النحو التالي :

أنه قال : لا يعلم أن أبا السنابل عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال. لكن جزم ابن سعد أنه بقي بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمنا وقال ابن مندة في الصحابة: عداده في أهل الكوفة وكذا قال أبو نعيم أنه سكن الكوفة وفيه نظر لأن خليفة قال : أقام بمكة حتى مات وتبعه ابن عبد البر ويؤيد كونه عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم قول ابن البرقي : أن أبا السنابل تزوج سبيعة بعد ذلك وأولدها سنابل بن أبي السنابل فأتى ذلك أن يكون أبو السنابل عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأنه وقع في رواية عبد ربه بن سعيد عن أبي سلمة : أنها تزوجت الشاب وكذا في رواية داود بن أبي عاصم : أنها تزوجت فتى من قومها وتقدم أن قصتها كانت بعد حجة الوداع فيحتاج إن كان الشاب دخل عليها ثم طلقها إلى زمان عدة منه ثم إلى زمان الحمل حتى تضع وتلد سنابل وصار أبوه يكنى به وقد أفاد محمد بن وضاح فيما حكاه بن بشكوال وغيره عنه أن اسم الشاب الذي خطب سبيعة هو وأبو السنابل فآثرته على أبي السنابل أبو البشر بن الحارث وضبطه بكسر الموحدة وسكون المعجمة.[انظر: فتح الباري، ج ٩ ص ٤٧٢]

[1] صحيح البخاري : كتاب المغازي، باب : فضل من شهد بدرا ، حديث رقم : ٣٦٩١

ـــ مردفات الثلاثة : ١٠ نساء

ـــ مردفات الأربعة : ٨ نساء

ـــ مردفات الخمسة : امرأة واحدة

ـــ مردفات الستة : امرأة واحدة.[٢]

ـــ محمد بن حبيب الذي صنف كتابه المحبر وعقد فيه بابا أسماه: أسماء من تـــزوج ثلاثة أزواج فصاعدا من النساء، ذكر فيه عددا من مردفات النساء بلغ تعدادهن : ٧٧ امرأة من قريش وغيرها من القبائل والقرشيات منهم ٥٠ امرأة و٢٢ امرأة من ســـائر قبائل العرب[٣] ويمكن أن نضع ما ذكره ابن حبيب على التصنيف الآتي:

ـــ من تزوج من المذكورات ٣ أزواج : ٤٦ امرأة

ـــ من تزوج من المذكورات ٤ أزواج : ١٩

ـــ من تزوج من المذكورات ٥ أزواج : ٢

ـــ من تزوج من المذكورات ٦ أزواج : ٧

ـــ من تزوج من المذكورات ٧ أزواج : ١

ـــ من تزوج من المذكورات ٨ أزواج : ١

ـــ من تزوج من المذكورات ١٠ أزواج :١

---

(١) امرأة مردفة أردفت زوجا بعد زوج

(٢) انظر: كتاب المردفات من قريش، لأبي الحسن علي بن محمد المدائني، من ضمن مجموعـــة نـــوادر المخطوطات الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت ١٤١١هـــ ـــ١٩٩١م ، ج ١ ص ٦٧ ـــ ٨٦.

(٣) انظر: المحبر، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، روايـــة أبي ســـعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنى بتصحيحه دكتورة إيلزة ليختن ستيتر، منشـــورات دار الأفـــاق الجديدة بيروت. ص ٤٣٥ ـــ ٤٥٥

كما أننا نجد الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في الإصابة في تمييز الصحابة: في القسم الخاص بالنساء نجده يذكر اسم الصحابية واسم زوجها وأولادها. كما أنه لا يغفل عن تتبع حالتها في حياتها وذلك كتزوجها أكثر من مرة بعد زوجها الأول ذاكرا سبب الزواج الثاني أو الثالث الذي قد يكون لوفاة زوجها الأول أو استشهاده أو طلاقه لها أو اختلاعها منه، فركا له وفرارا منه، ويذكر أولادها من كل أزواجها.

ونلاحظ خلو الدراسات السابقة عن تواليف مفردة عن ظاهرة العُنوسة[١] رغم أن العلماء قد كتبوا عن الزواج والترغيب فيه وتعديد محاسنه ونبدأ بكتب الحديث التي ذكرت الأحاديث الواردة في فضل الزواج والمنفرة عن التبتل والانقطاع عن الزواج بقصد العبادة وأن يكون الرجل صرورة[٢] عازفا عن الزواج تاركا له.

---

(١) قال صديق القنوجي : رأيت له ــ أي الشيخ: عبد الحي البكري ــ رسالة في حث الناس على تزويج أيَامَاهم ، وردعهم عن استقباح ذلك.[أبجد العلوم للقنوجي ، المجلد الثالث: الرحيق المختوم. من تراجم أئمة العلوم، ترجمة الشيخ: عبد الحي البكري]

(٢) عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَرُورَةَ فِي الْإِسْلَامِ. [سنن أبي داود: كتاب المناسك، باب: لا صرورة في الإسلام، حديث رقم: ١٤٦٩/ مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن العباس، حديث رقم: ٢٧٠١]

قال أبو عُبَيد: هو في الحديث التَّبتُّل وتَركُ النِكَاحِ: أي ليس يَنْبَغي لأحد أن يقول لا أتزوّجُ: لأنه ليسَ من أخْلاقِ المُؤمنين. وهو فعل الرُّهبَان. والصَّرُورة أيضا الذي لم يَحُجَّ قَط. وأصلُه من الصَّرّ: الحَبْسِ والمَنْعِ. وقيل أراد من قَتل في الحرَم قُتِل، ولا يُقبل منه أن يَقول إني صَرُورَةٌ، ما حَجَجْت ولا عَرَفت حُرْمَة الحَرَمِ. وكانَ الرجلُ في الجاهلية إذا أحْدث حدثا فلجأ إلى الكَعْبة لم يُهِجْ، فكان إذا لَقيه وليُّ الدَّم في الحَرم قيل له هو صَرُورةٌ فلا تَهِجْه.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {صرر}]

كما ذكرت لنا كتب السنة أنواعا من الزواج كانت تمارس في الجاهلية مقرة للنوع المعروف اليوم هادمة لغيره من الأنواع الباطلة التي كانت تمارس في الجاهلية[١] بل كان الأمر بخلاف ذلك فقد كان السابقون يمارسون إعضال النساء ومنعهن عن الزواج فكانت الآيات والأحاديث تنهاهم عن ذلك.[٢]

وأعتقد أنه لم يكن يخطر ببال أحد من السابقين من عرب الجاهلية أو مؤلفي الطبقات والتراجم أنه سيأتي يوم لا يجد النساء فيه أزواجا ولا أعتقد أنه كان يدر في خلد امرأة من السابقات أنه سيأتي يوم على بنات جلدتهن من بنات حواء لا يجدن فيه أزواجا فيعشن طول عمرهن متأطرات[٣] من غير زوج ولا أولاد، ويكن قواعد بيوت وحبيسات حيطان من عدم الأزواج، ولذا كان عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح مستهجنا مستقبحا في مجتمعات النساء وعالمهن ويؤيد هذا ما تفوهت به النساء من استنكار واستهجان عرض المرأة نفسها للرجل، وتكرر ذلك في عدة حوادث نجتزئ منها بالآتي:

ـ ذكر أنس بن مالك أمام ابنته أمينة قصة المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، فاستنكرت ابنته ذلك بل وصفت ابنته المرأة الواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بأنها قليلة الحياء وأن فعلها هذا يسيء لبنات جلدتها من النساء.[٤]

ـ ما قيل لأم شريك غزية بنت جابر الدوسية من الأزد وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه وكانت جميلة وقد أسنت فقالت إني أهب

---

[١] انظر غنية المحتاج في بناء الأسرة وأنواع الزواج

[٢] انظر : التعنيس بسبب الأنفة والغيرة ص من هذا الكتاب.

[٣] قال ابن الأعرابي: التأطير أن تبقى الجارية زماناً في بيت أبويها لا تتزوّج. [لسان العرب، مادة أطر]

[٤] انظر ص من هذا الكتاب

نفسي لك وأتصدق بها عليك فقبلها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير قالت أم شريك فأنا تلك فسماني الله مؤمنة فقال ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ...الآية ﴾ [١] فلما نزلت الآية[٢] قالت عائشة إن الله ليسرع لك في هواك.[٣]

كما أنه لم يكن من أسباب وأد البنات عند العرب عدم وجود أزواج لهن وإنما كان من أسباب الوأد عند العرب الخاصة بموضوعنا :

أ ــ الغيرة من الأزواج: كما علل النعمان بن المنذر صفة الوأد أمام كسرى قائلا: أما قولك أيها الملك يئدون أولادهم فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة منهم من العار وغيرة من الأزواج.[٤]

---

[١] سورة الأحزاب آية ٥٠

[٢] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ قُلْتُ مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ .[صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب قوله ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ حديث رقم: ٤٤١٤/ صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، حديث رقم: ٢٦٥٨]

[٣] الإصابة لابن حجر، ترجمة: ١٠٢٦٨

[٤] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي: شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (ب . ت) ج١ص١٥٠

ب ـــ الخوف من زواج غير الأكفاء ببناتهم، [١] سأل أبو بكر الصديق قيس بن عاصم: ما حملك على أن وأدت فقال: خشيت على أن يخلف عليهن غير كفء.[٢]

وقال قتادة: كان مضر وخزاعة يدفنون البنات أحياء وأشدهم في ذلك تميم زعموا خوف القهر عليهن وطمع غير الأكفاء فيهن.[٣]

بل كان بعض العرب يفرح بقدوم البنات عليه ـــ مع أن كثرتهم كانت تبغض البنات [٤] ـــ لأنه سيزوجهن وينال من وراء ذلك كسبا ماديا ضخما، قال ابن منظور: كان أهل الجاهلية إذا زوَّج الرجل ابنته استَجْعل لنفسه جُعْلاً يسمَّى الحُلْوان، وكانوا يسمون ذلك الشيء الذي يأخذه النافِجَة، كانوا يقولون بارك الله لك في النافِجَة فجعل الله الصَّدُقة للنساء فأبطل فعلَهم. [٥]

---

[١] قال عمر بن الوردي:

لولا بَناتي متُّ من شوقي إلى موتٍ أُرَاحُ بهِ من الأشرارِ
أقسمتُ ما دُفِنَ البناتُ تلاعباً دفنوا البناتِ كراهةَ الأصهارِ

[٢] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١ص١٥٠

[٣] انظر : روح المعاني ج١٤ص١٦٩

[٤] قال الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل آية : ٥٨ـــ٥٩)

[٥] لسان العرب ، مادة : نحل

وإن كانت الغالبية العظمى من العرب يستنكفون عن أخذ حلوان بناتهم. والحُلْوانُ: أَن يأْخذ الرجلُ من مَهْرِ ابنتِه لنفْسه، وهذا عارٌ عند العرب؛ قالتْ امرأَة في زوجها:

لا يأْخُذُ الحُلْوانَ من بَناتِيا[1]

ويقال للإِبل التي يَرِثُها الرجلُ فتكثُرُ بها إِبلُه: نافجةٌ؛ وكانت العربُ تقول في الجاهلية للرجل إِذا وُلِدَتْ له بنتٌ: هنيئاً لك النافجةُ أَي المُعَظِّمَةُ لمالك، وذلك أَنه يُزَوِّجُها فيأْخُذ مَهْرَها من الإِبلِ، فيَضُمُّها إِلى إِبله فيَنْفُجُها أَي يَرْفَعُها ويُكَثِّرُها.[2]

وقال أحدهم يفتخر بأن ماله اكتسبه بنفسه فهو ليس وراثة لأن أباه لم يترك شيئا لجوده وكرمه ولا من مهر ابنته:

وليس تلادي من وراثة والدي ولا شأن مالي مستفاد النوافج

ومعناه أن أباه كان جوادا لم يدخر ما يورث.[3]

والفرح بقدوم البنت وأخذ حلوانها يعني سهولة الزواج عندهم بل رواج الزواج فظاهرة العُنُوسة لم تكن معروفة ومستشرية بين الأقدمين.

وكان حكام المسلمين يهتمون برعيتهم من أرامل وغيرهم: فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ كَيْفَ فَعَلْتُمَا أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا

---

[1] لسان العرب، مادة : حلا

[2] لسان العرب، مادة: نفج

[3] كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثانيه. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (ب. ت) ج ١ ص ٣٣٤

الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ قَالَا حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ قَالَ انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ قَالَ قَالَا لَا فَقَالَ عُمَرُ لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا قَالَ فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ.[1]

كما أن حكام المسلمين كانوا لا يغفلون عن العاجزين والضعفاء من أفراد المجتمع فقد كان الوليد بن عبد الملك يختن الأيتام، ويرتب لهم المؤدبين، ويرتب للزمنى من يخدمهم، وللأضراء من يقودهم، وعمّر المسجد النبوي ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم.[2]

وكان إعلام المجتمع في ذلك الوقت يتكلم عن ظواهر تقض مضجعه، وتؤرقه، كالاهتمام بالأرامل واليتامى والمعوزين وغلاء الأسعار وضوائق المعيشة التي تعاني منها الرعية، يتكلم عن ذلك بوسائله المتاحة له من حديث في المساجد وإخبار ولاة الأمر عن طريق إرسال الوفود والشعراء لتوضيح هذه الظاهرة بغية القضاء عليها، قال جرير لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مصورا حال معاناة العباد:

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت ... أم قد كفاني ما بلغت من خبري

كم باليمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم[3] ضعيف الصوت والنظر

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب: قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان، حديث رقم: ٣٤٢٤

[2] تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبع دار الجيل بيروت سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ص ٢٦٦

[3] اليُتْم في الناس: فَقْدُ الصَّبِيِّ أباهُ قَبْل البُلُوغِ، وفي الدَّوابِّ: فَقْدُ الأُمِّ. وأصْلُ اليُتْمِ بالضَّم والفتح: الانْفِرادُ.وإذا بَلَغا زَالَ عَنْهُما اسْمُ اليُتْم حَقِيقَة. وقد يُطْلَق عَلَيْهِما مَجازاً بَعْد البُلُوغ، كما كانُوا

ممن يعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن أو مسا من النشر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذى الأرمل[1] الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر[2]

ومن تتبع كتب التاريخ والتراجم نجد أن العُنُوسة في السابق لم تكن ظاهرة تؤرق المجتمع وتقض مضجعه وتهدده، بل كانت حالات فردية من الجنسين متعلقة بالفتاة العانس أو الفتى من رفض للزواج أو زهد فيه أو دمامة أو إعاقة حالت دون زواج الفتاة، ولذا لم تكن العُنُوسة من اهتمام الحكام لأنها لم تكن موجودة، وكان بعض الحكام يهتم أو يسهم في أمر أهمه وأرقه من نوع آخر من النساء، وهن الجواري اللاتي استخدمن واستمتع بهن ورأي المجتمع أنهن قد أدين دورهن وأفنين حياتهن في إمتاع الآخرين من أمراء وعلية مجتمع فسعى بعض الحكام لحل معضلتهن لأنهن صرن يعانين الوحدة بعد أن مل منهن من أحضرهن، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عن الخليفة المستنصر بالله:

يُسَمُّون النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو كَبير: يَتيمَ أبي طَالب، لأنه رَبَّاه بَعْد مَوْتِ أبيه. [لسان العرب، مادة: يتم]

(١) الأرَامل: المسَاكين من رِجال ونِسَاء. ويقال لكُلّ واحدٍ من الفَرِيقَين على انْفرَاده أرَامِلُ، وهو بالنِّساء أخَصُّ وأكثر استعمالاً، والواحدُ أرْمل وأرْمَلة. وقد تكرر ذِكْر الأرْمَل والأرْمَله في الحديث. فالأرْمَل الذي ماتت زوجتُه، والأرْمَله التي مات زوجها. وسواءٌ كانا غَنِيَّين أو فقِيرَيْن. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: رمل]

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد للحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ص ١٩٨ ـ ٢٠١

كان جميل الصورة حسن السريرة جيد السيرة كثير الصدقات والبر والصلات محسنا إلى الرعية بكل ما يقدر عليه فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء لا سيما في شهر رمضان وكان يتقصد الجواري اللائي قد بلغن الأربعين فيشترين له فيعتقهن ويجهزهن ويزوجهن وفي كل وقت يبرز صلاته ألوفا متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم.[١]

والأشياء التي عثرت عليها من خلال تتبعي الطويل لموضوع العُنُوسة وخوف السابقين منها هي:

ـ ما ذكره الإمام القرطبي في قوله تعالى ﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾[٢] قال ابن المبارك: هي البنات والأخوات إذا كسدن في البيت لا يجدن لهن خاطبا. قال الشاعر:[٣]

كسدن من الفقر في قومهن وقد زادهن مقامي كسودا[٤]

ـ دعاء الله عز وجل لإنفاق الأيم، والاستعاذة بالله من الأيمة والعيمة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] البداية والنهاية، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح) ج ١٣ ص ١٨٢

[٢] سورة التوبة آية ٢٤

[٣] هو نصيب

[٤] انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر مؤسسة مناهل العرفان بيروت، توزيع مكتبة الغزالي دمشق، مجلد ٤ ج ٨ ص ٩٥

obeikandl.com

قال ابن قتيبة: وقال أبو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : "أنَّه كان يتعوَّذ من خَمْس من العَيْمة والغَيْمة[١] والأَيْمة[٢] والكَزَم والقَرَم". يرويه سليمان بن الربيع الكوفي عن همّام عن أبي العوّام عمران بن داود الطان عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم. [٣]

ـ قال القاسم بن عبد الرحمن: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ القرآن فإذا فرغ قال: أين العزاب؟[٤] فيقول: ادنوا مني، ثم قولوا: اللهم ارزقني امرأة إذا نظرت إليها سرتني، وإذا أمرتها أطاعتني، وإن غبت عنها حفظت غيبتي في نفسها ومالي.[٥]

ـ قال نصيب لعمر بن عبد العزيز عندما سأله عن حاله: كبر سني ورق عظمي، وبليت ببنات نفضت عليهن من لوني، فكسدن علي فبكى عمر من قوله.[٦]

---

[١] قال ابن الأثير : أنه ـ يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ـ كان يَتعوّذُ من العَيْمَة والغَيْمة والأيْمة ، العَيْمة: شدّة شَهْوة اللّبن. وقد عَام يَعَام ويَعِيم عَيْما. [النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة: {عيم}]

[٢] الأيْمة طولُ التَّعَزُّب من قولك رجل أيِّم وامرأة أيِّم إذا كانا عَزَبيْن

[٣] غريب الحديث ج ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩

[٤] العُزّابُ بالضم والتشديد الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء قال الكسائي الرجل عَزَبٌ والمرأة عَزَبةٌ والاسم العُزْبةُ كالعزلة والعُزُوبةُ أيضا و عَزَبَ بَعُد وغاب.[مختار الصحاح، مادة: عزب]

[٥] روضة المحبين لابن القيم ص ١٥٦

[٦] محاضرات الأدباء ج٢ص٣٢٦

ـ قصة المرأة العراقية مع خامس الخلفاء الراشدين: فقد قدمت امرأة من العراق على عهد عمر بن العزيز، فلما صارت إلى بابه ، قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا فادخلي إن شئت، فدخلت المرأة على زوجة عمر فاطمة وهي جالسة في بيتها وفي يدها قطن تعالجه، فسلمت المرأة فردت فاطمة السلام وقالت: لها: ادخلي.

فلما جلست المرأة رفعت بصرها فلم تر في البيت شيئا له بال وذا أهمية، قالت: إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخراب. قالت فاطمة: إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك فأقبل عمر حتى دخل الدار فسلم ودخل بيته فمال إلى مصلى كان له في البيت يصلي فيه. فسأل فاطمة عن المرأة فقالت: هي هذه فأخذ مكتلا له فيه شيء من عنب فجعل يتخير لها أحسنه يناولها إياها ثم أقبل عليها فقال: ما حاجتك.

فقالت: امرأة من أهل العراق لي خمس بنات كسل كسد فجئتك أبتغي حسن نظرك لهن، فجعل يقول: كسل كسد ويبكي فأخذ الدواة والقرطاس وكتب إلى والي العراق فقال: سمي أكبرهن؟ فسمتها ففرض لها، فقالت المرأة: الحمد لله. ثم سألها عن اسم الثانية والثالثة والرابعة والمرأة تحمد الله ففرض لها. فلما فرض للأربع استفزها الفرح فدعت له فجزته فرفع يده وقال: قد كنا نفرض لهن حين كنت تولين الحمد أهله فمري هؤلاء الأربع يفضن على الخامسة.[1]

كما أنه لا يخفى أن عنوسة البنات الخمس في هذه القصة لعلة خاصة بهن، وليس لأنه لا يوجد أزواج لوجود عنوسة مستديمة في المجتمع، وإنما عزف عنهن الأزواج لأنهن كسل فنتج عن كسلهن كسادهن، كما ذكرت المرأة في شكواها لعمر بن عبد العزيز.

---

[1] موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، ج ٢ ص ٨٧٢ ـ ٨٧٣

وجملة القول إن العُنُوسة ظاهرة خطيرة قد نكون في غفلة عنها فكم من عانس فكرت في الانتحار، وأخرى زنت أو فكرت في الزنا، أما تحدد وجوه العوانس وذبول نضرتها فمشاهد ملاحظ من الجميع.

هذا وقد قسمت موضوعي إلى مقدمة وأربعة أبواب كل باب يحوي عدة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة**
- **الباب الأول : العُنُوسة توضيح وأرقام**
- **الباب الثاني : أسباب العُنُوسة**
- **الباب الثالث : آثار العُنُوسة**
- **الباب الرابع : علاج العُنُوسة**
- **الخاتمة**

وأسميته : **العُنُوسة : أسبابها ـ آثارها ـ علاجها**

وقد حاولت في هذا الكتاب الإحاطة بالموضوع والاستقصاء لكل جوانبه. فذكرت أسبابا يمكن أن تكون تاريخية أو بعيدة الحدوث والوقوع ولكني تعرضت لها حتى يتم علاج الموضوع من وجهة نظري علاجا كاملا وأن يفتح المجال لإسهام المسهمين ولأقلام الباحثين للتعاون في القضاء على هذه الظاهرة التي تهدد المجتمع وتنذر بشر مستطير.

وبعد الانتهاء من هذا البحث أتاني أحد الإخوة بمواضيع وإحصاءات عن العُنُوسة ذكر لي أنه وجدها في موقع: إسلام أون لاين، فكان ذلك حافزا لي للبحث عن مواقع أخرى واستجلاب معلومات مفيدة والمواقع التي تعاملت معها هي : إسلام أون لاين وموقع العانس ، وموقع : الدر المكنون وقد استفدت منها في ذكر قصص وأمثلة ونماذج وإحصاءات فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

obeikandl.com

وكل القصص المذكورة من هذه المواقع وقد يصعب أحيانا التوثيق بذكر الصفحة وغيرها، ولذا لزم التنويه على ذلك.

والله أسأل أن ينفع به قارئه وأن يغفر لجامعه، الذي رام الحد من استشـــراء داء العُنُوسة، وأهمه أمر أخواته المسلمات ، وأقض مضجعه ، فأدلى بدلوه في حل مشكلتهن، هذا فإن أصاب في ذلك فالفضل والمنة لله وحده، وإن أخطأ فمن نفسه والشـــيطان والله ورسوله بريئان من ذلك.

وحسبي أني أثرت هذا الموضوع والله أسأل أن ينفعني به يوم فقري وحوجتي إليه وأن يدخلني به الجنة، ورحم الله امرأ قال: آمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. عبد المنعم عثمان عبد الله صبير
٢٢ ذو القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٠م
SUBAIR_3@HOTMAIL.COM

obeikandl.com